

## المقهى بين مخيلتي والكتابة

المقاهي حالة شعرية في ذاكرة الكتابة , يستحيل أن يخبت وهجها أو ينطفئ.

هي عندي الرافعة التي لا تنفك ترفد الحافز الشعوري على الكتابة, وتستعيد ما تراكم من تجارب عديدة ومتنوعة في القراءة .

وكأن المقاهي شرط للدخول إلى بيت الكتابة بعد أن تضيئه من الداخل. لكنني أعيش في مدينة لا تشكل المقاهي مساحة كبيرة منها, ولا تتخذ موقع الصدارة في حياتها الاجتماعية اليومية .

طرق الحياة المفضية للمقهى تحتاج إلى مدن صاحبة ضاجة بالحركة والفوضى وتشكل الأحداث المتوالية .

وهذه الطرق شبه معدومة في مدينة مثل الأحساء , على الأقل في الفترة التي عشت فيها طفولتي ومراهقتي ومطالع شبابي إلى بداية تشكل وعيي بالكتابة والاهتمام بالطرق المؤدية إليها .

لكن على الرغم من ذلك لم أعدم طرق المخيلة التي صنعت مقهائي الخاص عبر ذاكرة القراءة , فعندما كنت أتلقى صور المقاهي في ذاكرة الروايات والقصص التي انطبعت في ذهني كصورة مقهى الفيشاوي في روايات نجيب محفوظ على سبيل المثال , أخذت هذه الصور تتمدد في مساحات لا بأس بها في مخيلتي , وأصبحت تلح خصوصا ما كان يرفد ذلك لا حقا صورة المقهى في السينما المصرية فترة السبعينات والثمانينات الميلادية .

في فترة بداية التسعينات كتبت نصوصا كان المقهى حاضرا فيها كمفردة استدعيت من مخيلة القراءة على

عجل, وكأنها صورة كومبارس في مسرحية , أو مجرد إطار لصورة , أو سور على حديقة منزل .

كانت المفردة مغرية , وكانت تمثل علامة على حداثة النصوص وجدتها .

لكن سرعان ما تعمقت تجربتي في حياة المقاهي بعدما زرت العديد من المقاهي المشهورة في العالمين العربي والغربي, وأصبحت هذه الحياة تحتل مساحة كبيرة في ذاكرتي الإبداعية , إنها حياة صاحبة تنبص بالحركة , والأجمل إنها ترتبط بأصدقاء لا يمكن أن ينسلوا من الذاكرة دون أن يغرسوا فيها جذور أحاديثهم وصور ملامحهم التي لن تغيب , فأصبح حضور المقهى عندي دلالة على حضورهم , وحضور صورهم بدوره دلالة على المادة الخام القابلة للكتابة في أي وقت .

تعرفت خلالها على العديد من الأصدقاء الشعراء والكتاب المبدعين , فاللقاءات الأولى , وبالذات عندما تجري أحداثها في المقهى , بالنسبة لي هي عنوان كبير على حدث لا ينسى , قد تغيب تفاصيله الدقيقة بتقادم الزمن .

لكن الأهم هو أنه يبقى في يدي أشبه بالحجر الصغير كلما رميته في بركة ماء راكد , سيصنع دوائر على سطح هذه البركة تكبر شيئاً فشيئاً حتى تكون حوافز الكتابة قد أكملت استعدادها .

مقهى الرصيف هو إحدى المحطات الرئيسية الملتصقة بتجربتي في الكتابة , هذا المقهى الواقع في شارع الثريات , على طريق الظهران كانت أجواؤه لا تنفك تتسلل إلى ذهني باعتبارها حالة شعرية تستدعي في أغلب الأحيان الكتابة . الطاولة المستديرة والتفاف الأصدقاء حولها والضوء الخفيف الساقط من الأعلى على الطاولة , وإشعال السجائر الممزوج دخانها بالأحاديث .

مثل هذه الصورة لا تغادر ذهني , بل تتحول هذه الأجواء إلى فضاء سحري تستدعي الكتابة بأي صورة كانت . أكثر من عشرين سنة ظل هذا المقهى رافدا كبيرا بالنسبة لي , لا للكتابة فقط , وإنما لتطور تجربتي نحو المزيد من التصاقها بالخبرة الواقعية , ونحو المزيد من معرفة الأصدقاء والمبدعين في شتى صنوف المعرفة .

لكن المفارقة الشديدة هي أنني لا أذكر يوما من الأيام أن استسلمت للكتابة في فضاء المقهى , ولا للقراءة أيضا إلا في حالات نادرة أكون مضطرا إلى ذلك . أنا كائن لا مرأي ولا كائن متنصت أو مجرد الشعور بهما معا , فلا أعرف طريقا للكتابة إلا إذا كنت متوحدا مع الفضاء الذي أكتب فيه , لا عين تتلصص , لا أذن تصغي , ولا صمت يزعجك في التفكير به .

لذلك لا معنى عندي للعزلة - خصوصا إذا ما كانت قسرية تحت أزمة فيروس كورونا - إذا كانت تتصل بالكتابة أو القراءة وما يستتبع ذلك من هدوء وتأمل وسكينة واطمئنان.

تعلمت من الفيلسوف هيدجر معنى الفرق بين العزلة والوحدة , الأولى أن تنعزل عن الناس وتبتعد عنهم بينما الثانية أن تكون بينهم . لكن بشروطك التي تفتح لك طريق التأمل والاطمئنان والسكينة , وهذه بالطبع تحتاج إلى ممارسة وتعود .

حاولت ركوب الموجة الثانية , نجحت في بعض الأحيان أخفقت في أحيان أخرى . لكن الممارسة والتجريب في أزمة مثل هذه , وفي شيء يتعلق بالكتابة والإبداع يظل ضرورة يستحيل التخلي عنها طالما كنا قادرين على التعبير كتابيا .